الفصل الرابع

الفصل والاعتراض

وفيه توطئة ومبحثان :

- المبحث الأوّل : الفصل .

- المبحث الثاني : الاعتراض .

وذيّل بخلاصةٍ لأهمّ نتائج البحث فيه .

توطئة

يهتمُّ هذا الفصل بالبحث في التراكيب الّتي ترد في السياق فتقطع الاتّصال والتجاور بين عنصرين من عناصره قبل تمام الفائدة على خلاف الأصل ، وهذه التراكيب تكون دون الجملة فيُسمّى ورودها (الفصل) ، وتكون جملة فيُسمّى ورودها (الاعتراض) .

مفهوم الفصل :

يُراد بالفصل أن يأتي عنصر دون الجملة ـ أي غير مستقلٍّ بالإفادة ـ لا ينتمي إلى السياق الأصليّ للتركيب ، فيقع فيه بين عنصرين متلازمين ـ بجامع الصلة ، أو الإسناد، أو المجازاة ، أو نحو ذلك [1] ـ مخالفًا بذلك مطلب التضامّ [2] .

ويتنوّع عنصر الفصل إلى أنواع ، أشهرها : القَسَم ، والظرف ، والجارُّ والمجرور ، والنداء (وإن لم يعتدّ به ابن جنّي فاصلاً ؛ لكثرته في الكلام) [3] .

والعنصران اللذان يقع الفصل بينهما قد يكونان اسمين (كالفاعل والمفعول) ، أو فعل ومطلوبه (كالفعل والفاعل) ، أو حرف وما دخل عليه (كحرف العطف والمعطوف) ، ولهذا التنوُّع تفرَّق حديث النحاة عن ظاهرة الفصل في أبواب النحو بحسب هذه العناصر .

والفصل من حيث هو مصطلح نحويٌّ يختلف عن الفصل البلاغيّ الّذي يتحقّق بعدم استعمال حرف العطف [4] ، والّذي يقابلون بينه وبين الوصل بعطف الجمل بعضها على بعض [5] .

مفهوم الاعتراض :

الاعتراض كالفصل ، إلاّ أنّ الفاصل فيه يكون جملةً مستقلّة بالإفادة ، سواء كانت خبريّة أو إنشائيّة ، ولا يكون لها محلٌّ من الإعراب ، لكنّها لا تنفكُّ عن الجملة الأصليّة الّتي دخلها الاعتراض ، ولا تزول عنها من حيث معناها [6] .

---

(1) انظر : شرح التسهيل 375/2 .
(2) انظر : البيان في روائع القرآن 109/1 .
(3) انظر : الخصائص 73/3 .
(4) انظر : البيان في روائع القرآن 112/1 .
(5) لا يكاد يخلو كتاب في البلاغة من ذكر الفصل والوصل ، انظر مثلاً : دلائل الإعجاز /222 ، عروس الأفراح 75/1 ، المطوّل /434 .
(6) انظر : بناء الجملة العربيّة /82 .

ويمكن تعريف الاعتراض بأنه : اعتراض مجرى النمط التركيبيّ للجملة بتركيب مستقلٍ يَحُول دون اتّصال عناصر الجملة بعضها ببعض اتّصالاً تتحقّق به مطالبُ التضامُ النحويّ فيما بينها [1] .

وحاصل الاعتراض أنّه جملةٌ لا محلّ لها من الإعراب " تتوسّط بين أجزاء جملة مستقلّة أخرى " [2] .

وتقع الجملة المعترضة في عدّة مواضع [3] أحصى منها ابن هشام سبعة عشر موضعًا [4]، كالمعترضة بين الفعل ومرفوعه، وبين المبتدأ وخبره ، وبين ما أصله المبتدأ والخبر، وبين الشرط وجوابه ، وبين القسَم وجوابه ، وبين الموصول وصلته ....

قواعد الفصل :

للفصل قواعد وأحكام منثورة في كتب النحو،لكنّ كلاًّ منها مخصوص بموضعه، فلا يوجد من القواعد العامّة لهذه الظاهرة سوى النزر اليسير، كقول ابن جنّي: "وعلى الجملة فكلّما ازداد الجزءان اتّصالاً قَوِيَ قُبْحُ الفصل بينهما " [5] ، وقول العكبَريّ : " الفصل بين العامل والمعمول بالأجنبيّ لا يجوز " [6] ، أمّا ما عدا ذلك فهي أحكام خاصّة بمواضعها من أبواب النحو الّتي يقع فيها الفصل، كباب الإضافة ، وباب النعت ، وباب العطف ، وغيرها ، وهي أحكام تبيّن ما يجوز الفصل به في موضع ما وما لا يجوز من ذلك ، والقاعدة الأساسيّة في ذلك اتّصال الفاصل بمعنى الجملة بألاّ يكون أجنبيًّا .

قواعد الاعتراض :

قد ذكر النحاة من قواعد الاعتراض ثلاثة أمور ، فاشترطوا في الجملة المعترضة :

1- أن تكون مناسبةً للجملة الّتي دخلها الاعتراض ، بحيث تكون كالتأكيد أو التنبيه على حالٍ من أحوالها [7] ، وهذا مؤدّاه أن تكون متّصلةً بها في المعنى ، وقد ذكر ابن هشام أنّ الجملة المعترضة تفيد الكلام " تقويةً وتسديدًا أو تحسينًا " [8] ، فاتّصالها بمعنى الكلام يزيد فيه ويحسّنه، وإذا لم يُراع هذا الاتّصال فسد المعنى ،

---

(1) انظر : البيان في روائع القرآن /115 ، 116 .
(2) معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض /73 .
(3) انظر : أمالي ابن الشجري 328/1 ، شرح التسهيل 375/2 ، 376 ، الارتشاف 1613/3 .
(4) انظر : مغني اللبيب /506 وما بعدها . (5) الخصائص 390/2 . (6) اللباب 155/1 .
(7) انظر : ارتشاف الضرب 1613/3 ، همع الهوامع 247/1 . (8) مغني اللبيب/506 .

وهذا ما لاحظه ابن الأثير حين جعل الاعتراض على قسمين : أحدهما لا يأتي في الكلام إلاّ لفائدة فيجري مجرى التوكيد ، والآخر يأتي لغير فائدة فيكون دخوله كخروجه أو يؤثّر في تأليفه نقصًا وفي معناه فسادًا [1] .

2- أن لا تكون معمولةً لشيءٍ من أجزاء الجملة الّتي دخلها الاعتراض [2] ؛ لأنّ " الاعتراض لا موضع له من الإعراب ، ولا يعمل فيه شيءٌ من الكلام المعترَض به بين بعضه وبعض " [3] ، ولهذا يصحُّ سقوط الجملة الاعتراضيّة ولا يؤدّي سقوطها إلى اختلاف في التركيب ولا في أصل المعنى [4] .

3- أن يكون الفصل بها بين الأجزاء المنفصلة بذاتها [5] ، ويظهر معنى هذا الشرط بالنظر إلى بعض الحروف الّتي تتّصل بما تدخل عليه فيكونان كالكلمة الواحدة ، كما في أل التعريف ، وسين التنفيس ، وبعض حروف الجرّ كالباء واللام ، فالاعتراض بينها وبين مدخولها لا يصحُّ ولا يستقيم .

قيمة الفصل والاعتراض :

يبدو في ظاهرتي الفصل والاعتراض شيءٌ من الغربة ؛ ففيهما خروج على النظام الأصليّ للتضامّ بين أجزاء الجملة أو التركيب ، وهذا الخروج لا بدّ له من علّة ؛ لأنّ سير السياق النحويّ للكلام بالترتيب الّذي يوصل إلى تأدية معناه من غير معوّقات أمرٌ مهمٌّ في البيان ، وليس بالشيء الهيّن الّذي تستباح مخالفته ما لم تكن فائدةٌ تجتنى من وراء المخالفة .

ويبدو في الفصل والاعتراض شَبَهٌ بالتقديم ، وابن عصفور يعدُّ الفصل من التقديم صراحة ، يقول : " وأمّا تقديم بعضِ الكلام على بعض فمنه : الفصل بين المضاف والمضاف إليه " [6] ، ويجعله ابن جنّي من الحمل على المعنى ، إلاّ أنّه يصله بالتقديم والتأخير لما يبدو في ظاهره منه [7] ؛ إذ "يمكن وصف معظم صور الفصل بأنّها من قبيل التقديم والتأخير للمعمولات " [8] ، لكنّه تقديمٌ من نوعٍ آخر ؛ فهو يخضع بالدرجة الأولى لذوق المتكلّم الّذي يرى في تعجيل ورود تركيبٍ ما ضرورةً مُلِحّة ، فيأتي به قبل تمام فائدة الكلام الأوّل .

---

(1) انظر : المثل السائر 172/2 ، 173 .
(2) انظر : همع الهوامع 247/1 .
(3) الخصائص 337/1.
(4) انظر : الجملة النحويّة /106 .
(5) انظر : ارتشاف الضرب 1613/3 ، همع الهوامع 247/1 .
(6) ضرائر الشعر /191 .
(7) انظر : الخصائص 404/2 .
(8) ضوابط التقديم وحفظ المراتب في النحو العربيّ /213 .

والفرق الواضح بين الفصل والتقديم أنَّ التقديم مرتبطٌ بمبدإ الرتبة ، حيث يكون لكلٍّ من المقدَّم والمؤخَّر فيه رتبة ، محفوظةً كانت أو غير محفوظة ، في حين يرتبط الفصل بما هو حُرُّ الرتبة ، ومن أبرز الأمثلة على ذلك : الفصل بالظرف وبالجارِّ والمجرور ، اللذَيْن يُتوسَّع فيهما ما لا يُتوسَّع في غيرهما ، ويكفل النظام النحويُّ لهما حرِّيَّة الحركة بالتقديم والتأخير .

وما من شكٍّ في أنَّ التركيب الوارد فاصلاً أو معترضًا يكون غريبًا وقلِقًا في موضعه من الكلام ، ولعلَّ هذا ما يجعله بارزًا واضحًا ، " يثير الانتباه ، ويلفت التفكير " [1]، فتظهر قيمته البيانيَّة والمعنويَّة الَّتي عبَّر عنها ابن جنِّي في باب الاعتراض حيث قال : " والاعتراض في شعر العرب ومنثورها كثيرٌ وحسَن ، ودالٌّ على فصاحة المتكلِّم وقوَّة نفْسه وامتداد نفَسه ... " [2] ، وقد أكَّد على كثرته وجريانه مجرى التأكيد بقوله : " اعلم أنَّ هذا القبيل من هذا العلم كثير ، قد جاء في القرآن وفصيح الشعر ومنثور الكلام ، وهو جارٍ عند العرب مجرى التأكيد " [3] .

وإنَّما كان الاعتراض جاريًا مجرى التأكيد لأنَّه في معناه ، فهو كالتنبيه القويِّ [4] للسامع إلى شيءٍ يريده المتكلِّم ، كدعاءٍ ، أو قسَمٍ ، أو قيدٍ بشرطٍ ، أو نفيٍ ، أو وعدٍ ، أو أمرٍ ، أو نهيٍ ، أو غير ذلك ، فشأنه في ذلك شأن التقديم للأهمِّيَّة .

---

(1) بناء الجملة العربيَّة /82 .
(2) الخصائص 341/1 .
(3) السابق 335/1 .
(4) انظر : الدرّ المصون 224/10 .

المبحث الأوَّل

الفصل

وفيه خمس قضايا :

- الأولى : الفصل بين المبتدأ والخبر .
- الثانية : الفصل بين ما أصله المبتدأ والخبر .
- الثالثة : الفصل بين الفعل والفاعل .
- الرابعة : الفصل بين الفعل والمفعول .
- الخامسة : الفصل بين الصفة والموصوف .

الفصل بين المبتدأ والخبر

المبتدأ والخبر هما ركنا الفائدة الّتي لا تحصل إلاّ بمجموعهما ، فحين يُذكَر المبتدأ يظلُّ الذهن مُعلّقًا ومنتظرًا حصول الفائدة الّتي تتوقّف على ذكر الخبر ، وقد يتأخّر ذكر الخبر لوجود ما يتّصل بالمبتدأ في المعنى ويتلوه في اللفظ ـ كالتوابع مثلاً ـ وقد يكون سبب التأخير ورود فاصل ، وهذا هو موضوع المسألة .

رغم أنّ المبتدأ والخبر لا يوصفان بأنّهما (متلازمان) في اللفظ إلاّ أنّهما متطالبان في المعنى ، فالفصل الكثير بينهما يكون ملحوظًا بارزًا ، ومن شواهد ذلك ما نراه في قول أبي حيّان حين عرض لتوجيه قول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً . وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاء قَرِيناً . وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُواْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ وَكَانَ اللهُ بِهِم عَلِيماً . إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ... ﴾ [1] حيث قال :

" وقيل : ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ ﴾ في موضع رفع على الابتداء ، واختلفوا في الخبر أهو محذوفٌ أم ملفوظٌ به ، وهو قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ﴾، ويكون الرابط محذوفًا تقديره: (مثقال ذرّةٍ لهم) أو: (لا يظلمهم مثقال ذرّة) ، وإلى هذا ذهب الزجّاج ، وهو بعيدٌ متكلّف ؛ لكثرة الفواصل بين المبتدأ والخبر ... " [2] .

لا شكّ إذن في أنّ الفصل الطويل بين المبتدأ والخبر مَعيب ؛ ففيه إرهاقٌ لذهن المتلقّي ، وربّما ينسى – لطول الفصل – المبتدأ حين يُذكَر الخبر ، فما كان طويلاً من الفصل يدخل في جملة التعقيد .

أمّا الفصل بينهما بفاصلٍ يسيرٍ فلا بأس به ، إذ ليسا متلازمين في اللفظ بحيث يقبح الفصل بينهما ، لكن يجب ألاّ يكون الفاصل أجنبيًّا بألاّ يكون له تعلّق بأحدهما ، كما في قول الشاعر :

نظرْتُ وشخصي مطلعَ الشمسِ ظلُّهُ إلى الغربِ حتّى ظِلُّهُ الشمسَ قد عَقَلْ [3]

---

(1) سورة النساء ، الآيات 37 – 40 . (2) البحر المحيط 247/3 .

(3) انظر : الخصائص 400/2 ، وقد ذكر وجهًا آخر يخرجه من باب الفصل .

حيث فصل بين المبتدأ (شخصي) وخبره (ظلُّه إلى الغرب) بأجنبيٍّ عنهما (مطلع الشمس) ، وهذا غير جائز ، وتعقيد الكلام بسببه واضح .

يدلُّنا ما سبق على أنَّ لجواز الفصل بين المبتدأ وخبره شرطَيْن ، هما :
1- ألاَّ يكون الفصل طويلاً يضيع بسببه الاتِّصال بين المبتدأ والخبر .
2- ألاَّ يكون الفاصل أجنبيًّا عنهما .

وقد ورد في شعر الصيرفيّ الفصل بين المبتدأ وخبره بالظرف وبالجارّ والمجرور المتعلِّقين بأحدهما ، فمن ذلك :

- قوله :

وطنُ الإنسانْ
رغم القضبان
في كلِّ لسان
أحلى من لفظة حُرِّيَّهْ (1)

فالأصل : وطن الإنسان أحلى من لفظة حُرِّيَّة ، وقوله : (رغم القضبان . في كلِّ لسان) فصل بين المبتدأ والخبر ، وفائدة الفصل هنا كبيرة ، وبدونه يبدو التركيب عاريًا عن معناه المقصود ؛ إذ مقصود الشاعر المقارنة بين الوطن بكلِّ ما فيه - ممَّا يعترض الحرِّيَّة أحيانًا – وبين لفظة الحُرِّيَّة من غير وطن ، وهو يرجِّح عيش الوطن وإن كان فيه نقص الحرِّيَّة ، وقوله (في كلِّ لسان) يعتبر معبرًا للشاعر من عالم الحيوان إلى عالم البشر ، فالقصيدة في عصفور كان لدى الشاعر ، وعاش في قفصه أربع سنوات ، ثمَّ انطلق يَنشُد الحرِّيَّة ، وعاد بعد عشرة أيَّام يحوم حول قفصه ، حتَّى إذا أُدخِل فيه أسلم نفسه الأخير بعد دقيقتين ، وكان الشاعر قد وُضع تحت الرقابة في عهد مراكز القوى ، ففكَّر في الهجرة ، ثمَّ ردَّته حادثة هذا العصفور عن فكرته (2) .

- وقوله :

عيبهم – في اعتقادهم – أن تمادَوا في مديحٍ فأُغرقوا في دجاهُ (3)

والقصيدة في الشاعر محمود غنيم , وقوله (عيبهم) أي محمود غنيم ومن شابهه ممَّن يميل إلى الأسلوب القديم في الشعر، وقوله (في اعتقادهم) أي في اعتقاد خصومهم،

(1) النبع /19 . (2) انظر : النبع /16 . (3) زاد المسافر /50 .

والفصل هنا واضح الدلالة ، لأنّه تقييد للعيب بوجوده في اعتقاد وأذهان الخصوم وحسب ، ممّا يجعل وجوده غير حقيقيّ .

• وقوله في الدكتور محمّد مندور :

خصومة الرأي شيءٌ والإخاء - كما هو الإخاءُ - متينُ الودّ والسببِ [1]

والأصل : والإخاء متين الودّ ... ، والفصل بقوله : (كما هو الإخاء) لبيان أنّ الرجل لم يكن اختلافه في الرأي مع أحدٍ يسبّب العداوة أو التشاحن ، فالإخاء قبل خصومة الرأي هو بعينه بعدها لا يتأثّر بها .

• وقوله :

هذا المسافرُ - بعد طول صراعِ في عالم الآلام والأوجاعِ
ماضٍ كأنغام الصباح تزفُّها زُمَرٌ من الأنغام والأسجاعِ [2]

والأصل : هذا المسافر ماضٍ ، لكنّ الفصل بالظرف هنا عظيم القيمة في المعنى ؛ إذ ليس المقصود بالبيان كونه ماضيًا ولكن كونه يمضي على الصورة الّتي بيّنها الشاعر (كأنغام الصباح ...) بعد ذلك الصراع الطويل مع الآلام والأوجاع [3] .

---

(1) صلواتي أنا /46 .
(2) زاد المسافر /24 .
(3) انظر مواضع أخرى للفصل بين المبتدأ وخبره في . نوافذ الضياء /56 ، زاد المسافر /41 ، 71 .

الفصل بين ما أصله المبتدأ والخبر

والكلام في هذه المسألة كالكلام في سابقتها ، وممَّا ورد فيه الفصل بين ما أصله المبتدأ والخبر قول الشاعر :

فأصبحتْ بعد خطِّ بهجتِها كأنَّ قفرًا رسومَها قلَما [1]

أراد : فأصبحت بعد بهجتها قفرًا كأنَّ قلمًا خطَّ رُسومَها ، وفيه الفصل بين (أصبحت) والخبر (قفرا) .

ومن الفصل بين ما أصله المبتدأ والخبر في شعر الصيرفي :

• قوله :

إنّي – على الرغم من سقْمي ومن ألَمي – أحيا مع الشِّعر حتّى يُقصَفَ القلمُ [2]

ومجيء الجارِّ والمجرور فاصلاً بين اسم (إنَّ) وخبرها في هذا البيت لتقوية المعنى، فالغرض إبراز كونه يعاني السقم والألم ليكون لتمسُّكه بالحياة مع الشِّعر معنى ، ولو تأخَّر الجارُّ والمجرور لما أبرز المعنى المقصود على هذا النحو .

• وقوله :

انظر إلى الشموس في الغروب تحضنُ المدارْ
تُخفي لواعجَ الشجا بمائجٍ من البحارْ
كأنَّها – من يأسها – تهمُّ فيه بانتحارْ [3]

والفصل في البيت بقوله : (من يأسها) بين اسم (كأنَّ) وخبرها ، وقد بيَّن ذلك الفاصل السبب والعلَّة في حدوث خبر (كأنَّ) قبل وروده ، وفي هذا من توضيح المعنى ما يجعله مستحسنا .

• وقوله :

وطريقُ الشرِّ سهلٌ واضحٌ وطريقُ الخير يَحوي العقباتْ
بيدَ أنَّ الشرَّ – لو تنظرهُ – ساحةٌ مملوءةٌ بالعقباتْ [4]

والفصل في البيت بقوله : (لو تنظره) بين اسم (أنَّ) وخبرها، وغرضه التنبيه على أنَّ كون الشرّ (ساحةٌ مملوءةٌ بالعقبات) ليس شيئًا واضحًا وإنَّما يحتاج إدراك ذلك إلى نظر وتمعُّن، ولذلك قال: (لو تنظره)، وإذا نظرنا إلى (لو) على غير معنى الشرط لوجدنا فيه حثًا على النظر لإدراك العواقب ، ولكون ذلك النظر مهمًّا فقد أورده الشاعر قبل الخبر .

---

(1) الخصائص2/393. (2) عودة الوحي /52 . (3) نوافذ الضياء /23 . (4) الألحان الضائعة /72 .

الفصل بين الفعل والفاعل

الأصل في الترتيب بين الفعل والفاعل والجارّ والمجرور أو الظرف أن يتقدَّم الفعل ويليه الفاعل ثمَّ الجارُّ والمجرور أو الظرف ، نحو : وقف زيدٌ على المنبر ، فإذا صار التركيب : على المنبر وقف زيد ، كان ذلك من قبيل تقديم المعمول بغرض الحصر ، أمَّا إذا صار التركيب : وقف على المنبر زيدٌ ، فلا تقديم حينئذٍ ؛ إذ لا رتبة بين الفاعل وشبه الجملة تقتضي ترتيبًا بينهما ، فهو من باب الفصل .

والعلاقة بين الفعل والفاعل علاقةٌ لفظيَّةٌ ومعنويَّة ، فالفاعل مسندٌ إليه الفعل ، وهو مرفوعٌ به حقيقةً أو حكمًا [1] .

وما دام الفاعل معمولاً للفعل فتصدق عليهما مقولة : " الفصل بين العامل والمعمول بالأجنبيّ لا يجوز " [2] ، فإذا كان الفاصل بينهما معمولاً لأحدهما أو متّصلاً بهما جاز ، وإذا كان أجنبيًّا لم يجز .

ومن الفصل بينهما بمعمول أحدهما قول السموأل :

تسيلُ على حدِّ الظُّباتِ نفوسُنا ... وليست على غير الظُّباتِ تسيلُ [3]

فالأصل : تسيل نفوسنا على حدِّ الظباتِ ، وقوله :

وما أُخمدتْ نارٌ لنا دونَ طارقٍ ... ولا ذمَّنا في النازلين نزيلُ [4]

والأصل : ولا ذمَّنا نزيلٌ في النازلين .

والفصل بين الفعل والفاعل في شعر الصيرفيّ قليل ، وكلُّه فصل بشبه الجملة بغرض التقييد ، ومن ذلك :

• قوله من قصيدة في الرئيس محمَّد أنور السادات :

وكم سرتْ – في سكون الهمس ، في حذرٍ ... من هول ما صنع البغيُ – الحكاياتُ [5]

وفي البيت فصلٌ بثلاثة عناصر ، اثنان للظرفيَّة وواحدٌ للتعليل ، وهو فصلٌ طويلٌ بين الفعل وفاعله أدَّى إلى نوعٍ من الثقل في البيت ، ولولا اتِّصال معنى عناصر الفصل بالفعل (سرت) لكان فصلاً قبيحًا ، ويبدو أنَّ غرض الشاعر من هذا الفصل إضفاء

---

(1) انظر : شرح التسهيل 105/2 .
(2) اللباب 155/1 .
(3) ديوانا عروة بن الورد والسموأل /91 ، وانظر : أمالي القالي 269/1 .
(4) السابق .
(5) عودة الوحي /100 .

شـيءٍ من الرهبة الّتي يقتضيها المقام ليحسّ المتلقّي بالهول والرعب الّـذي كـان يعـيش الناس فيه قبل عصر السادات حيث كان البطش وتقييد الحرّيّات هو السمة الغالبـة لتلـك الفترة الّتي ذاق شاعرنا من نارها واكتوى بأوارها .

• وقوله في رثاء عزيز فهمي :

أسفا على تلك الخلال تُضيعُها – في لحظةٍ – سيّارةٌ رعناءُ[1]

والأصل : تضيعها سيّارةٌ رعناءُ في لحظـة ، والفصـل هنـا لتقويـة المعنـى ببيـان شـدّة الحادث وتضييعه للفقيد بكلّ خصاله المحمودة وأنّ ذلك حدث في لحظـة ، ولـو تـأخّر الظرف لما كانت له تلك القوّة .

• وقوله في رثاء محمود غنيم :

عيٌّ – بعد الإفصاح – هذا المُسجّى والأغـاريـدُ خـلـفـهُ تـنـعـاهُ [2]

والفصل في هذا البيت لتوضيح صفة المرثيّ ، والمعنى أنّ الصفة الملازمة له طول حياته هي الإفصاح ، ومجيء الظرف فاصلاً في البيـت لتقويـة المعنـى ، بـإبراز التنـاقض بـين الصفتين (العيّ والإفصاح) .

• وقوله :

لقاءٌ عـلى الرملِ جادتْ به – على رغمهنّ – السنون الضنينهْ [3]

وأصل التركيب : جادت به السنون الضنينة على رغمهنّ ، ويبدو أنّ غـرض الشـاعر مـن الفصل التنبيه والاحتراس من أن يُظنّ بقوله (جادت) أنّ ذلـك اللقـاء كـان كرمًـا مـن سنينه فيتعارض ذلك مع وصفه لها آخر البيت بأنها (ضنينة) ، فـأراد أن يؤكّـد بخلهـا بقوله (على رغمهنّ) .

---

(1) صدى ونور ودموع /284 . (2) زاد المسافر /54 . (3) عودة الوحي /53 .

الفصل بين الفعل والمفعول

أكثر النحويين على أنَّ الفعل هو العامل في المفعول [1]، فالفصل بينهما من الفصل بين العامل والمعمول، بما يعنيه ذلك من جوازه بغير الأجنبيّ وامتناعه بالأجنبيّ .

ومن الفصل بين الفعل والمفعول في شعر الصيرفي :

• قوله :

أرجو التحرُّر من ذاتي ومن جسدي لكي أُحرِّرَ - فيما بعدُ - وجداني [2]

والأصل : لكي أحرِّر وجداني فيما بعد ، ومجيء التركيب بالفصل بالظرف بين الفعل والمفعول بغرض التقييد ، فمراد الشاعر أنَّ المرجوَّ الأهمَّ لديه أن يتحرَّر من قيود الجسد ، فإذا تحقَّق ذلك الرجاء أمكنه بعده – لا قبله - أن يكون حُرَّ الوجدان .

• وقوله في رثاء أمِّه :

يهدمُ اليومُ - وفي سُخريَةٍ - ما أقام الأمسُ فيها وبنى [3]

والفصل في هذا البيت يبدو غريبًا ، فقد كان يمكن للجارّ والمجرور أن يكونا في موضع الحال ، لكنَّ سبقهما بالواو جعل كونهما كذلك بعيدًا ، وإذا نظرنا إلى غرض الشاعر من هذا الفصل بدا لنا أنَّ المراد التنبيه على حالٍ من أحوال الدنيا يراه الشاعر وهو تقلُّب الدنيا بين البناء والهدم ، وليس الهدم المجرَّد لكنَّه الممزوج بالسخرية ، وهذه السخرية استحقَّت – لغرابتها - أن تبرز على هذا النحو بمجيئها فاصلاً بين الفعل والمفعول .

• وقوله على لسان شهرزاد :

أنت لا تقتلُ في صُبحِكَ غادهْ
إنَّما تقتلُ - في الحقِّ - سَعادهْ [4]

والفصل بقوله : (في الحقِّ) بين الفعل (تقتل) والمفعول (سعادة) لتبرير الغرابة في وقوع فعل القتل على ما لا يصحُّ أن يقع عليه ، والمراد أنَّ قتل السعادة هو حاصل قتل الغيد كلَّ يومٍ في حكم الحقِّ الذي يختلف عن حكم الظاهر أحيانًا .

---

(1) انظر : أسرار العربيَّة /85 ، شرح الكافية للرضي 302/1 .
(2) الشروق /94 .
(3) صدى ونور ودموع /270 .
(4) شهرزاد /32 .

الفصل بين الصفة والموصوف

من المعلوم أنَّ الصفة والموصوف " كالشيء الواحد " [1] ؛ لأنَّ البيان يحصل من مجموعهما ، ولكن أجاز النحاة الفصل بينهما إذا اقترن ذلك بوضوح المعنى ، فاشترطوا لجواز الفصل بينهما أن يكون الموصوف " غير مبهمٍ ولا شبيهٍ به " [2] ، وأن يكون عنصر الفصل ممَّا " لا تتمحَّض مباينته " [3] للصفة والموصوف ، وذلك يأتي على عدَّة صور ، فقد يكون [4] :

1- مبتدأً ، كما في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[5].

2- أو خبرًا ، نحو : زيدٌ قائمٌ العاقل .

3- أو جوابًا لقَسَم ، كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ﴾[6] .

4- أو معمولاً للموصوف ، نحو : هذا ضاربٌ زيدًا عاقل .

5- أو معمولاً لمضافٍ إلى الموصوف ، كما في قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ . عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ [7] .

6- أو معمولاً للصفة ، كما في قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ [8] .

7- أو فعلاً عاملاً في الموصوف ، نحو : أزيدًا ضربتَ القائمَ ؟

8- أو مفسِّرًا لمحذوف، كما في قول الله عزَّ وجلَّ:﴿ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ ﴾[9].

9- أو استثناءً ، نحو : ما جاءني أحدٌ إلاَّ زيدًا خيرٌ منك .

10- أو معطوفًا، كما في ما حكاه سيبويه: " هذان رجلان وعبدُ الله منطلقان " [10].

وممَّا ورد فيه الفصل بين الصفة والموصوف قول الشاعر :

ألم ترَ أنَّني لاقيتُ يومًا معاشرَ - فيهمُ رجلٌ - جَمارا
فقيرُ الليل ، تلقاهُ غنيًّا إذا ما آنسَ الليلُ النهارا [11]

حيث فصل بين (معاشر) وصفته (جمارا) ، وبين (رجل) وصفته (فقير الليل) [12] .

---

(1) ابن يعيش 59/3 .
(2) شرح التسهيل 287/3 .
(3) ارتشاف الضرَب 1935/4 ، والعبارة في المطبوع : " ويجوز الفصل بين المنعوت ونعته بما يتمحَّض مباينته ، فإن تمحَّضت مباينته فلا يجوز " ، وقوله : " بما يتمحَّض مباينته " تحريفٌ واضح، وانظر: المساعد 381/2 .
(4) انظر : ارتشاف الضرَب 1935/4 ، والمساعد 382/2 .
(5) سورة إبراهيم، الآية 10.
(6) سورة سبأ ، الآية 3 .
(7) سورة المؤمنون ، الآيتان 91 ، 92 .
(8) سورة ق ، الآية 44 .
(9) سورة النساء، الآية 176.
(10) الكتاب 81/2 .
(11) شرح التسهيل 287/3 ، و(جمارا) أي مجتمعون ، راجع : لسان العرب (ج م ر) .
(12) انظر : شرح التسهيل 287/3 .

ومنه أيضًا قول لبيد بن ربيعة :

فصلقنا في مرادٍ صلْقةً وصُداءٍ ألحقتْهُمْ بالثَّلَلْ [1]

حيث فصل بين الموصوف (صلقة) وصفته (ألحقتهم بالثلل) [2] .

والفصل بين الموصوف والصفة قليل في شعر الصيرفيّ ، وهذا بيانه :

- في قوله :

كتمتِ في الحسنِ خفيَّ الشذا كالسرِّ بين العاشقين المصونْ [3]

وأصل التركيب : (كالسرِّ المصون بين العاشقين) ، ويبدو الفصل بالظرف هنا شبيهًا بتقديمه للأهمِّيَّة ، إذ الأسرار تتعدَّد وتختلف ، والشاعر يقصد إلى السرِّ بين العاشقين على وجه الخصوص ليشبِّه به شذا الزهرة على سبيل التشبيه المقلوب ، فكان أن قال : (كالسرِّ بين العاشقين) ، وفيه نكتة أخرى هي حمل الموصوف (المصون) لحرف القافية ، فكان لا بدَّ من تأخره إلى نهاية البيت ووقوع الظرف المتعلِّق به بينه وبين الصفة.

- وقوله على لسان شهرزاد :

غيرَ أنَّ القلب قد أوحى إليَّا
أنَّ إنسانًا وراء الغولِ حيًّا [4]

والأصل : أنَّ وراء الغول إنسانًا حيًّا ، ففصل بين الصفة والموصوف بخبر (أنَّ) ، ولعلَّ الشاعر في الفصل على هذا النحو قصد التجاور بين الموصوف وخبر (أنَّ) ليحقق التجاور بينهما في اللفظ ، بما يوحي بإمكان اجتماعهما في صفات (شهريار)، سوى أنَّ الموصوف أيضًا يحمل حرف القافية ، ولا مناص من مجيئه آخر البيت .

- وقوله في رثاء الدكتور أحمد فؤاد الأهواني :

كنتَ كالبسمةِ الَّتي شفَّ ثغرٌ بها حسنْ [5]

والأصل : شفَّ بها ثغرٌ حسنْ ، وليس للجارِّ والمجرور تعلُّقٌ بالصفة ولا بالموصوف، ثمَّ إنَّ التركيب يبدو وكأنَّه وقف على قوله (بها) ، ثمَّ جلب لفظ (حسن) لأجل القافية وحسب .

يتَّضح ممَّا سبق أنَّ الباعث الأوَّل عند الصيرفي للفصل بين الصفة والموصوف هو رعاية القافية ، فغاية الفصل موسيقيَّة ، ولا أشكُّ في أنَّ الموسيقى عنصرٌ أساسيٌّ في مفهوم الشعر عند الصيرفي ، واهتمامه بها جزءٌ من لغته الشِّعريَّة .

---

(1) ديوانه /146 ، ومعنى البيت : أوقعنا بقبيلتي مراد وصداء وقعة ألحقتهم بالهلاك ، راجع : لسان العرب (ص ل ق) ، و(ث ل ل) .

(2) انظر: الخصائص396/2. (3) الألحان الضائعة/70. (4) شهرزاد/63. (5) زاد المسافر/43.

المبحث الثاني

الاعتراض

وفيه أربع قضايا:

- **الأولى**: الاعتراض بين المبتدأ والخبر .
- **الثانية**: الاعتراض بين ما أصله المبتدأ والخبر .
- **الثالثة**: الاعتراض بين الفعل والمفعول .
- **الرابعة**: الاعتراض بين الصفة والموصوف .

الاعتراض بين المبتدأ والخبر

قد ذكر العلماء من مواضع الجملة المعترضة أن تكون معترضةً بين المبتدأ وخبره [1] ، وممَّا جاء من ذلك قول معن بن أوس :

وفيهنَّ – والأيَّامُ يعثرنَ بالفتى – نوادبُ لا يملْلْنهُ ونوائحُ [2]

ومنه الاعتراض بجملة الفعل الملغى في نحو : زيدٌ – أظنُّ – قائمٌ ، وبجملة الاختصاص في نحو قوله ﷺ : " نحنُ – معاشرَ الأنبياء – لا نورث " [3] .

وقد استعمل الصيرفيّ الاعتراض بين المبتدأ والخبر في موضع واحد ، هو قوله في قصيدة (الرضى) :

نسمةٌ من جنَّة الله سَرَتْ تبعثُ الراحة في المضطربِ
تحملُ الدنيا على أجنحةٍ كُنَّ في الأُفْقِ يعادَ المأربِ
ترقصُ الرُّوحُ على أنغامها خببًا في نشوةٍ من طَرَبِ
الرضى – ما أجملَ الدنيا بهِ – بسمةٌ تُشرِقُ من ثغر نبي [4]

والاعتراض في البيت يبدو ضرورةً فنيَّة ؛ فبعد هذه الأوصاف للرضى يريد الشاعر أن يأتي بصفةٍ جامعةٍ يختم بها المقطع الأوَّل للقصيدة ، فيختار هذا الوصف المثير للارتياح والمعبِّر عن غاية الرضى (بسمةٌ تشرق من ثغر نبي) ، وهو لا ينسى في غمرة هذا الوصف أن يعبِّر عن الرضى في إحساسه هو ، فيأتي بهذه الجملة المعترضة (ما أجمل الدنيا به) ، وهي وإن كانت أسلوبًا نمطيًّا للتعجُّب إلاَّ أنَّ مجيئها معترضةً أكسبها قيمةً معنويَّةً كبيرة ، فوقعت كما أراد لها الشاعر .

---

(1) انظر : ارتشاف الضرب 1615/3 ، ومغني اللبيب /507 .
(2) انظر : الخصائص 339/1 ، وخزانة الأدب 261/7 .
(3) انظر : مغني اللبيب /507 .
(4) الشروق /40 .

الاعتراض بين ما أصله المبتدأ والخبر

والاعتراض في هذه المسألة كالاعتراض في سابقتها ، ومنه قول ابن هَرْمَة :

إنَّ سُليمى – واللهُ يكلؤها – ضنَّت بشيءٍ ما كان يَرزؤُها [1]

وقول أبو محلم الشيباني :

إنَّ الثمانينَ – وبُلِّغتَها – قد أحوجتْ سمعي إلى تُرجمانْ [2]

وقول آخر :

وإنِّي لرامٍ نظرةً قِبَلَ الَّتي لعلِّي – وإن شطَّت نواها – أزورُها [3]

وقد ورد الاعتراض بين ما أصله المبتدأ والخبر في ثلاثة مواضع من شعر الصيرفي، هي :

• قوله في (حلم اليقظة) :

ارجع يا حُلْمُ فإنَّ الصيفَ – سئِمتُ الصيف – أطال نواكْ [4]

وقد جاء الاعتراض في هذا البيت كالتنبيه القويّ من الشاعر على سأمه وضجَره من الصيف ؛ لما أحدثه من المباعدة بينه وبين حلمه المنشود ، واستعمال الجملة المعترضة وسيلة من أقوى الوسائل للتنبيه .

• وقوله في رثاء محمود غنيم :

كان – والله – صورةً من وفاءٍ لا يُغشِّى صفاؤهُ أو يُشاهُ [5]

وقد جاءت الجملة المعترضة هنا لتقوية معنى الجملة الأصليَّة عن طريق القسَم، وقد أراد الشاعر نعت المرثيِّ بالوفاء على هذا النحو المؤكَّد لما كان يجمع بينهما من الصداقة، ولما عيب على محمود غنيم من استعماله للمديح مع مَن كانوا يُكرمونه،وقد بيَّن الصيرفيّ أنَّ مديحه ما هو إلاَّ انعكاسٌ لصفة الوفاء عنده ، وممَّا يبيِّن ذلك قوله قبل البيت :

ما على صاحبي جناحٌ إذا ما هاج وجدانه كريمٌ رعاهُ
لا نفاقًا .. ولا رياءً .. ولكنْ صدقُ إحساسه الَّذي أوحاهُ
وأسيرُ المعروف أكرمُ عندي من طليقٍ ينسى الَّذي يُعطاهُ

---

(1) انظر: أمالي ابن الشجري328/1، وارتشاف الضرَب1616/3. (2) انظر: أمالي ابن الشجري329/1.
(3) انظر : مغني اللبيب /507 . (4) النبع /53 . (5) زاد المسافر /51 .

• وقوله في رثاء عبّاس محمود العقّاد :

كان – لا كان الردى – يُتحِفُنا كُلّ حينٍ بتآليفٍ عِجابْ [1]

والاعتراض بالدعاء في قوله : (لا كان الردى) لإظهار التبرُّم والضيق من الموت الّذي يتخطّف العظماء ، وقد جاء به في هذا الموضع وكأنّه كره كلمة (كان) الدالّة على المضيّ والانقضاء ، فجاء بالجملة المعترضة (لا كان الردى) الّتي تحوي الكلمة نفسها ولكن على معنى آخر هو وجود الموت الّذي تمنّى الشاعر ضدّه ، وذلك على سبيل الجناس الّذي أحسن توظيفه في البيت.

(1) صلواتي أنا /86 .

الاعتراض بين الفعل والمفعول

والاعتراض بين الفعل والمفعول أيضًا من مواضع الاعتراض المعدودة ، وممَّا جاء منه قول أبي النجم العجليّ :

وبُذِّلتْ – والدهرُ ذو تبدُّل –
هيفًا دبورًا بالصَّبا والشمألَ [1]

وقد ورد الاعتراض بين الفعل والمفعول في شعر الصيرفي مرّتين ، وهذا بيانهما :

• في قوله :

أهدِّئُ القلب الّذي يخفقُ بهذه الكفِّ الّتي تضطربْ
أخشى عليه – والهوى مُحدِقُ – أن يرتميْ في عالمٍ مُلتهِبْ [2]

فقوله : (والهوى محدق) اعتراض بين الفعل (أخشى) والمفعول (أن يرتمي) ، والغرض منه التنبيه على شدَّة اقتراب قلبه من عالم الهوى الملتهب بحيث صار الهوى محيطًا به ، فهذه صورة قصد الشاعر إلى إبرازها ، ولهذا أتى بها معترضةً بين الفعل والمفعول .

• وقوله :

وحيَ إليَّ ساقهُ والعمرُ قد تقدَّما
القدرُ الدائرُ بالناس إذا ما أنعما
ألهمني – يا حُسنَ ما أوحى به وألهما –
قصائدًا كشَعرهِ إلى السبائكِ انتمى [3]

والاعتراض بقوله : (يا حسن ما أوحى به وألهما) بين الفعل (ألهمني) والمفعول (قصائدًا) ، وفائدته لفت النظر إلى شدَّة إعجاب الشاعر بحسن قصائده الّتي أوحى بها إليه القدر .

---

(1) انظر : ارتشاف الضرَب 1613/3 ، ومغني اللبيب /507 .
(2) الشروق /16 .
(3) نوافذ الضياء /56 .

الاعتراض بين الصفة والموصوف

وقوع الجملة المعترضة بين الصفة والموصوف من المواضع المشهورة ، وقد دأب النحاة [1] على الاستشهاد له بقول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ [2] ، فالموصوف (قسم) ، والصفة (عظيم) ، " واعترض بـ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ ﴾ بين الموصوف وصفته " [3] .

وقد وقع الاعتراض بين الصفة والموصوف في شعر الصيرفي مرّةً واحدة ، في قوله :

كان عهدًا - لا أُرِينا ظلَّهُ - أغبرَ السَّحنةِ ممجوجًا كريها [4]

والبيت من قصيدة حافلة بوصف مساوئ عهد الملك فاروق ، وتبرز في هذا البيت شدّة السخط على هذا العهد ، وقد ساعدت الجملة المعترضة (لا أُرينا ظلّه) على إبراز هذا السخط والغضب ، فهو يعجّل بالدعاء بأن لا يرى ظلّه قبل أن يشرع في وصفه بأنّه (أغبر السحنة ، ممجوج ، كريه) ، فاختياره الاعتراض بالدعاء في هذا الموضع اختيارٌ موفّق .

---

(1) انظر مثلاً : أمالي ابن الشجري 328/1 ، ارتشاف الضرّب 1614/3 ، مغني اللبيب /510 .

(2) سورة الواقعة ، الآية 76 .

(3) الكشّاف 59/4 ، وانظر : الدرّ المصون 223/10 .

(4) صدى ونور ودموع /196 .

خلاصة

الفصل والاعتراض من الظواهر المحدودة في شعر حسن كامل الصيرفيّ ، ويمكن إبراز ملامح الظاهرتَيْن في شعره بما يلي :

أوَّلاً : ورود الفصل والاعتراض في شعره قليلٌ على وجه العموم ، فلا يمكن مقارنتهما بالظواهر الكبرى فيه كالحذف والتقديم والتأخير .

ثانيًا : يرتبط الفصل في شعر الصيرفي بالظرف والجارّ والمجرور ، وربَّما كان في هذا إدراكٌ من الشاعر لسماح النظام النحويّ بالتوسُّع فيهما .

ثالثًا : ليس في شعره فصلٌ بأجنبيّ ، بل دائمًا ما يكون العنصر الفاصل متَّصلاً بمعنى الجملة وله قيمةٌ في دلالتها ، وكذلك الجملة المعترضة تكون ذات صلة بمعنى الجملة الأصليَّة .

رابعًا : تتنوَّع دلالة الفصل في شعر حسن كامل الصيرفيّ بين معانٍ كثيرة ، كالتقييد ، وبيان علَّة الحدث قبل إيراده ، وتقوية المعنى ، والتنبيه ، ورعاية القافية ، وغيرها .

خامسًا : يرتبط ورود الجملة المعترضة في شعره بالتعبير القويِّ عن المشاعر ، كالارتياح ، والضجر ، والإعجاب ، ففي مثل هذه المواقف ترِد الجمل المعترضة لتقوِّي المعنى وتلفت الانتباه .